مركزية سلمية في الدعوة الإسماعيلية

الدكتور محمد زيود

مقدمة:

سلمية بلدة صغيرة من أعمال الشام، تقع إلى الشرق من نهر العاصي، على مسيرة خمسة وعشرين ميلاً من مدينة حماة، وخمسة وثلاثين ميلاً شمال شرقي حمص، وتقع في سهل خصب، على ارتفاع (١٥٠٠) قدم عن سطح البحر، على حافة بادية الشام[١]، وشغل موقعها على مرّ العصور أهمية كبيرة في تاريخها، حيث كانت تلتقي فيها الطرق المشهورة الكبرى الآتية من البادية (تدمر)، ومن العراق وغيرهما.

ومن المرجح أن المدينة عريقة في القدم، يشهد على ذلك آثارها، التي تحتوي كتابات ونقوشاً يونانية[٢]. أما اسمها فقد اختلف الجغرافيون العرب في لفظه، وأصله، فمنهم من كتبه بتخفيف الياء ومنهم من شددها[٣]، وقد أعاد ياقوت الحموي جذور هذا اللفظ إلى رواية ترتبط بالمؤتفكة: "لما نزل بأهل المؤتفكة ما نزل بهم من عذاب" رحم الله منهم مائة نفس نجاهم، فانتزحوا إلى سلمية، فعمروها وسكنوها، فسميت سلم مائة، ثم حرّف الناس اسمها وقالوا سلمية[٤]". وبذلك تكون جذور الاسم عربية، إلا أن الأرجح أن التسمية تعود للأصل اليوناني "سلمياس" نسبة إلى جذور جزيرة يونانية، ومدينة قبرصية تدعى كل منهما سلاميس[٥]، غير أن هذا لا يعني بالضرورة أن من بنى هذه المدينة هم اليونان، وربما كان لها اسم في اللغات السورية القديمة، لم يكتشف أو

يعرف حتى الآن[٦]. كما أن هناك آراء وأقوالاً أخرى أوردها بعض الباحثين عن أصل هذه التسمية.

سلمية في صدر الإسلام:

كانت المدينة في أثناء الفتوحات العربية الإسلامية تتبع جند حمص، وجرى فتحها إثر الخطة التي رسم معالمها القائد العربي المسلم أبو عبيدة عامر بن الجراح مع الخليفة الفاروق[٧]، حيث تم فتحها، وانتزعت من أيدي البيزنطيين، في أثناء فتح حمص سنة ١٥ هـ[٨]، وغدت بعد ذلك ثغراً من ثغور الشام[٩] المهمة والمعروفة، استمرت من أعمال حمص[١٠]، حتى عام ١٥٠٠م، حيث تبعت مدينة حماة إدارياً، في العصر المملوكي.

وقد ذكرتها المصادر الإسلامية، وأكدت على أهميتها الجهادية، والثغرية، ودورها الدفاعي، فقال عنها الإدريسي إنها حصن، كالمدينة[١١]، مؤكداً على أهميتها في حماية الإسلام والمسلمين. على الرغم من أن هناك من يرجح أن المدينة كانت خراباً حتى عمرها العباسيون[١٢]، لكن الثابت أنه كان لها وجود في تلك الفترة، فقد أورد خليفة بن خياط في تاريخه، وفي أحداث سنة ٦٦هـ/٦٨٦م، التالي: "وضحى عامئذٍ أمير المؤمنين بسلمية"[١٣]، وهذا يعني أن الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ)/(٦٨٥-٧٠٥م)، قام في السنة الثانية من خلافته بنحر الأضاحي في هذه البلدة، وهذا يدل على وجود جماعات عربية بشرية مهمة، كانت تستقر فيها، وكان الخليفة الأموي يحرص على إرضائهم، وكسب تأييدهم، ولاسيّما إذا ما علمنا اضطراب الأوضاع الشديد خلال تلك الفترة، وخروج معظم أقاليم الدولة على الطاعة الأموية، مبايعتها لعبد الله بن الزبير[١٤]، الذي أعلن الثورة في الحجاز ضد الأمويين منذ مأساة كربلاء عام ٦١هـ/ ٦٨١م، واستمرت إلى سنة ٧٣هـ/٦٩٢م، مما هدّد بزوال الدولة الأموية.

نخلص إلى القول إلى أهمية سلمية آنذاك وطول تلك الفترة من جميع النواحي السياسية والعسكرية والاجتماعية وكذلك الاقتصادية، ولاسيّما التجارة منها باعتبارها واقعة على أطراف البادية الشامية المهمة، وعلى الطريق التجاري العالمي وتشغل محطة تجارية، ومركزاً مهماً من المراكز التجارية في وسط بلاد الشام،ولهذا كانت ولا تزال منطقة ومؤثرة في تاريخ بلاد الشام ومدنه الوسطى وعلى رأسها مدينتا حمص وحماة، ويزيد في أهميتها جميعاً كونها تشكّل بقعة متوسطة في إقليم مهم ومميز هو "الشام" عبر العصور، حيث كان لافت الأنظار، وقبله الطامعين، والمتطلعين إلى النفوذ، والراغبين في استغلال إمكانات بلادنا العربية الإسلامية، وسلب خيراتها. وهذا ما جعل الشام، ومنها هذه المنطقة الوسطى، من المواقع الفريدة في التاريخ، التي هيأتها الظروف والأحداث للتصدي للطامعين كلهم، وجعلتها مركزاً قيادياً دائماً.

سلمية في العصر العباسي:

لا شكّ أن المدينة استمرت تشغل دوراً مهماً في العصر العباسي، ويشهد على ذلك الأحداث العسكرية التي دارت على أرضها، منذ قيام خلافة بني العباس في عام ١٣٢هـ/ ٧٥٠م، وظهر دورها المهم في ضرب حركات التمرد والقوى المناوئة في الشام ضد العباسيين، وساهمت في توطيد الحكم العباسي، إلى أن أصبحت مركزاً مهماً من المراكز التي قادت حركات عديدة معارضة لسلطة العباسيين، وإنهاء حكمهم، فقد شهدت سلمية أحداث المعركة التي جرت وقائعها بين القائد العباسي عبد الله بن علي أول القادة العباسيين وعمالها في بلاد الشام، وبين أبي الورد مجزأة بن كوثر بن زفر بن الحارث الكلابي[١٥]، وهو من قادة مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين، وكان النصر فيها حليفاً للعباسيين، مما ساعد على توطيد أقدامهم في بلاد الشام، وقد جرت وقائع المعركة في مرج الأخرم، وجاء على ذكرها كل من الطبري وابن الأثير، غير أن كليهما لم يُشر إلى سلمية لا من قريب ولا من بعيد[١٦]. إلا أن ياقوت الحموي ذكر أن مرج الأخرم يقع بنواحي سلمية أو حمص[١٧]. ويرجع أنه المرج المسمى حالياً

بالقريم في غربي سليمة، إذ لا يوجد في شمال الشام قاطبة مرج يقرب اسمه من الأخرم سوى الذي في سلمية، ويذكر أنه يعرف اليوم باسم "الخصيمية ويقع شمال سلمية".

وقد ورد ذكر هذه المعركة عند ابن الأثير، وتتلخص بخروج مجزأة بن الكوثر بن زفر بن الحارث الكلابي. الذي كان عبد الله بن علي العباس، قد أقرّه على إمارته قنسرين، وقد أيّد أهالي قنسرين أميرهم بالخروج على السفاح (١٣٢-١٣٦هـ)/ (٧٥٠-٧٥٤م)، أول الخلفاء العباسيين، فلبسوا البياض، وانضم إليهم أهالي حمص، وبايعوا عبد الله بن يزيد بن معاوية بالخلافة، ويظهر أن "ابن الورد"، لم يكن راضياً عن الأساليب القاسية التي كان العباسيون يستخدمونها للحصول على الأموال والأراضي من أصحابها، فقرّر أن ينتقم منهم[١٩]. وتجمع لهؤلاء الثائرين قوة كبيرة زادت على الأربعين ألف مقاتل، عند نشبت المعركة قُتل من الطرفين ألوف، ودارت الدائرة على الثائرين، فهزموا وقتل ابن الورد، أما عبد الله بن يزيد فقد فرّ إلى الحجاز، وظل طريداً إلى أن قتل في أيام الخليفة المنصور (١٣٦-١٥٨هـ)/ (٧٥٤-٧٧٥م)[٢٠].

هذه الثورة المبكرة ليست بالأمر الفريد في تاريخ هذه المدينة المليء بالاضطرابات، وتشير إلى أهميتها، فلم تمنع هذه الحركات العباسيين أنفسهم من الاستقرار بها، فقد نزل بها عبد الله بن صالح ورهط من الهاشميين، وذكر اليعقوبي أن عبد الله بن صالح هذا ابنتاها[٢١]، والحقيقة لا يعرف ما إن كانت البلدة خراباً فجاء عبد الله فأعاد إعمارها،أو ربما يقصد أنه زاد بها في البناء، مع أنه من غير المستبعد أن تكون البلدة قد تعرضت للدمار التام، على أثر المعركة الضارية التي دارت بالقرب منها، وكيفما كان الأمر فقد أصبحت منذ ذلك الحين بلدة عامرة يشكل بها الهاشميون الأغلبية، حيث ذكر أبو الفداء نقلاً عن ابن حوقل أن "سلمية" الغالب على سكانها بنو هاشم[٢٢]. وقد كان وجود الهاشميين في سلمية معروفاً، ولم يكن خافياً للعيان على أحد وشكّلوا بها

قوة مهابة، فقد ذكر الأصفهاني، أن أحد شعراء الدولة العباسية المعروفين، وهو عبد السلام بن رغبان المعروف" "بديك الجن" عندما اعتلّت حاله، قصد سلمية، وأقام عند أحمد بن علي الهاشمي[٢٣]، لمدة طويلة حتى تحسن حاله.

كما حظيت سلمية بزيارة الخليفة المهدي (١٥٨-١٦٩هـ)/ (٧٧٥-٧٨٥م)، الذي مرّ بها في عام ١٦٣هـ/ ٧٧٩م، عندما قصد الشام عاملاً على كسب مودة أهلها، فزار دمشق وبيت المقدس وحاول تسوية الخلافات القبلية المختلفة في بلاد الشام، ووزع عليهم الأموال وعندما كان في طريقه إلى بيت المقدس، نزل ضيفاً عند عبد الله بن صالح، وذكر الطبري أنه أعجب بما رأى من منزله بسلمية[٢٤]. وكان عبد الله بن صالح هذا يحظى بمكانة مميزة ومرموقة لدى الخلفاء العباسيين، لهذا فقد زوجه الخليفة المهدي من أخته. وعيّنه والياً على الجزيرة[٢٥]، ويعود لعبد الله بن صالح الفضل في استصلاح أرض البلدة، وإنشاء نظام للري فيها، يعتمد القنوات، فقد أجرى إليها نهراً، واستنبط أرضها حتى زرع فيها الزعفران[٢٦]، ويؤكد هذه الحقيقة أبو الفداء. ويلفت الانتباه إلى أهميتها الزراعية، فيقول عنها: "إنها بلدة نزهة ومياهها قنى، ولها بساتين كثيرة"[٢٧]، كما ذكر نقلاً عن ابن حوقل أن سلمية "على طرف البادية الخصبة"[٢٨]، ونقلا عن العزيزي قوله إنها كثيرة المياه والثلج رخية خصبة"[٢٩].

تعرّضت سلمية في سنة ٢٩٠هـ/ ٩٠٣م، إلى مأساة كبيرة شلت حركتها، وذلك نتيجة للخلاف الذي حدث بين الإمام المهدي وبعض دعاة الكوفة والقرامطة من آل زكورية ابن مهروية، وخروجهم على سلطة الإمام، وإعلانهم الثورة على العباسيين، دون موافقة الإمام، وهاجموا الشام، ودخلوا سلمية بعد رحيل المهدي عنها، ودخل الحسين ابن زكورية (صاحب الشامة) والمعروف بأبي مهزول سلمية، وأقدم على قتل جميع سكانها دون استثناء، فافتقرت للوافدين إليها من التجار والعلماء، وفقدت مكانتها، وغدت مرتعاً للغزاة وقطاع الطرق. ورحل أهلها عنها إلى أماكن آمنة ومستقرة.

ولم يمضِ الوقت طويلاً حتى استعادت سلمية عافيتها وأخذت دورها السياسي والحضاري وساهمت في أحداث الشام المهمة. وشهدت المنطقة الوسطى صراعات كبيرة بين القوى الطامعة في الشام والمتطلعة إلى النفوذ من إخشديين وحمدانيين وغيرهم من القادة المتعشقين للنفوذ والسلطة، وقادوا معارك عديدية على بطاحها ونالها منهم المتاعب.

وفي العصر الحمداني في الشام (٣٣٣-٣٩٤هـ)/ (٩٤٤-١٠٠٣م)، أصبحت سلمية مدينة مهمة لهم وجاءت مكانتها عندهم بعد حاضرتهم حلب، وأسهمت في درء الأخطار الاقتصادية، وتأمين المستلزمات العسكرية الكبيرة التي احتاج إليها الحمدانيون في صراعهم المرير ضد البيزنطيين معيناً قوياً حتى انهيار دولتهم حلب.

وعلى أثر التوسع الفاطمي في بلاد الشام ٣٥٩هـ/ ٩٧٠م، أصبحت سلمية من المدن المحببة للفاطميين مسقط رؤوس أسلافهم، ودار هجرتهم ومنطلقهم إلى المغرب، ولهذا فإنه على الرغم من أن الحكم الفاطمي للشام لم يكن مستقراً ولم يكن الوئام قوياً بين الفاطميين ومعظم مدن الشام، غير أن سلمية لقيت عناية خاصة من الفاطميين، وشاركت في نشاطاتهم، وتأثرت بأحداثهم السياسية والعسكرية.

هذه التركيبة السكانية من أرستقراطية بني هاشم، إضافة لتطرف المدينة، ولموقعها المهم وأهميتها الاقتصادية، ولاسيّما الزراعية منها والتجارية، ومناخها الجيد وكل ذلك ظهر بشهادة رحّالة جغرافيين مشهود لهم بالخبرة، وصدق الكلمة، وبُعد الأفق، يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك بأن هذه البلدة، كانت على قدر من الأهمية الاقتصادية والاجتماعية، وكل ذلك أهّلها لأن تصبح مركزاً مهماً، ومعقلاً ملائماً للحركات السرية المناوئة للخلافة العباسية، وتبوأت مركز القيادة لحركة المعارضة، ولأهم وأوسع حركة فكرية عرفتها بلاد الشام، لا بل الأقاليم الإسلامية قاطبة طوال العصر العباسي، وعملت ضد العباسيين خلافتهم لفترة طويلة، وتمكنت من هزّ العرش العباسي، وهددته

بالسقوط، وبدأ كل ذلك باختيار الإمام عبد الله بن محمد لسلمية واتخاذها مقراً وسكناً له وغدت مركزاً له يقصده الدعاة وتأتيه الأموال والأخبار من كل الأمصار.

سلمية والإسماعيلية:

يرتبط اسم سلمية بالإسماعيلية(٣٠): وكلما أتى اسمها، يتبادر إلى الذهن الدعوة الإسماعيلية، ودور أئمتها المستورين المستقرين، منهم والمستودعين، ودعاتهم وحججهم، والحركات الفكرية والسياسية التي قادوها، والأفكار المستفيضة التي نشروها في جميع أنحاء العالم الإسلامي بوساطة دعاة ومؤدين ومريدين وجماعات مختلفة آمنت بفكرتهم عن قناعة أو غير قناعة.

ولا بدّ أن نذكر أيضاً المآثر التاريخية، التي عمّت مناطق شاسعة من العالم الإسلامي من مغربه إلى مشرقه، إلى قيام دول، وبناء حواضر. كانت نشأتها نتيجة جهود الإسماعيليين، الذين اتخذ أئمتهم من سلمية مقراً، ودار هجرة، مركزاً لوضع الخطط والعمل ضدّ الخلافة العباسية في بغداد للإطاحة بها.

وعلى الرغم من اختلاف الروايات وتباينها، وتناقضها الشديد عن هؤلاء الإسماعيليين، الذين أطلقوا على أنفسهم الفاطميين، وعرفوا كذلك بالعبيديين، والجدل الكبير الذي نشأ حول معتقداتهم، وآرائهم الفكرية والعقائدية، وكذلك أصولهم الاجتماعية، والرؤى المتباينة حيال انتسابهم إلى العلويين من أبناء علي وفاطمة الزهراء (رضي الله عنهما). أو اعتبارهم ميمونيين(٣١)، قداحين وغيرهم، لكن ذلك لا يمكن أن يطمس الحقيقة الواضحة، ولا يمكن تجاوز ما فاض عن مدينة سلمية حاضنة الإسماعيلية، ودعاتها وأفكارهم، وما حدث نتيجة لهذه الدعوة السرية المنظمة والدقيقة، حيث صارت لغزاً يصعب حله. حتى اعتبرتها الحركات الفكرية والسياسية منها التي ظهرت فيما بعد في أنحاء مختلفة من العالم مصدر إلهام لها، ونهلت من خططها وتنظيماتها، وستبقى النتائج التي أفرزتها الدعوة الإسماعيلية التي انطلقت من سلمية شاهداً أكيداً على أهمية هذه المدينة، وتوضح مدى فعالية هؤلاء القادة الموجهين الذين

خرجوا منها وما أدّوه من أعمال أدّت إلى قيام دول، ونشوء مدن، وتطور حضارات، وما رافق كل ذلك من أحداث سياسية وعسكرية، وكل ذلك يؤكد أهمية سلمية وأئمتها المستورين ومكانتها ودورها التاريخي عبر العصور العباسية، ومن هنا تأتي أهمية هذه البلدة باعتبارها أمّاً ومحوراً لنشوء المدن وولادة دول، فما المهدية الفاطمية، والمنصورية في المغرب العربي، ومن بعدهما القاهرة المعزية وغيرها من الحواضر المهمة إلا مدن مهمة شيدت بما فيها من معالم لتخدم دعوة انطلقت أساساً من هذه البلدة الصغيرة، تلك الدعوى التي نشأت سرية بمحمد بن إسماعيل بن جعفر، وظهرت بالإمام المهدي عبد الله أو (عبد الله) أول الخلفاء القائمين في المغرب العربي.

وإذا ما أردنا التحدث في أصول هؤلاء الإسماعيليين، ونسبهم، فإننا سنجد أنفسنا أمام أمواج متصارعة وتيارات متعارضة، وأهواء مختلفة لا يمكن التوفيق بينها، ويستحيل تعايشها أو التأكد منها، ولذلك كان علينا أن نتعرض بإيجاز لمجمل هذه الآراء، التي تأثرت بالسياسة، ونأخذ برأي مؤرخي هذه الجماعة، وبالدراسات الحديثة. ونحاول أن نركّز على أدوارهم الحضارية وهو المهم مبتعدين قدر الإمكان عن الآراء الفلسفية والعقائدية، قد لا تصيب الهدف الذي نصبو إليه، ولا تحلّ اللغز الإسماعيلي، بقدر ما تضفي عليه التعتيم والضبابية.

فالروايات المعارضة(٣٢) لهم وعلى رأسها ما جاء على لسان ابن النديم في الفهرست تربط ما بين الإسماعيلية والديصانية الثنوية(٣٣)، وتعيدهم إلى الميمونية القداحية الثنوية. وبعضهم ينسبهم إلى أصول يهودية(٣٤)، ويقول عنهم: إنهم مغرقون في يهوديتهم.

وعلى الرغم من أن المقريزي أورد تفصيلاً هذه الروايات في أخباره عن الإسماعيلية إلا أنه أكد أنه بريء منها، وذهب إلى التأكيد على صحة رأي معلمه ابن خلدون الذي أكد صحة النسب الفاطمي(٣٥)، التي ترى أن الإمام: من ولد جعفر الصادق هو إسماعيل ابنه من بعده، والإمام بعد إسماعيل بن جعفر هو ابنه محمد، ويلقب

بالمكتوم[٣٦]. وبعد المكتوم ابنه جعفر بن محمد بن إسماعيل، ويلقبون جعفر بالمصدق، وبعد جعفر المصدق ابنه محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم بن إسماعيل الإمام بن جعفر الصادق، وقالوا فولد محمد الحبيب عبيد الله بن محمد بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم بن الإمام إسماعيل، وعبيد الله هذه هو القائم بالمغرب "الملقب بالمهدي" المنسوب إليه الخلفاء الفاطميون بالمغرب ومصر[٣٧].

مع اختلاف ظاهر الروايات الإسماعيلية التي تؤكد النسب الفاطمي، فهي تقول إن الإمام بعد جعفر الصادق إسماعيل، وقد نص عليه بالاتفاق من أولاده، إلا أنهم اختلفوا في موته في حياة أبيه، فمنهم من قال إنه لم يمت غير أنه أظهر موته تقية من خلفاء بني العباس، ومنهم من قال الموت صحيح، والإمام بعد إسماعيل، محمد بن إسماعيل وهؤلاء يقال لهم المباركية[٣٨]، ومنهم من وقف على محمد بن إسماعيل، وقال برجعته بعد غيبته، ومنهم من ساق الإمامة في المستورين منهم، ثم في الظاهرين القائمين بعدهم وهم الباطنية فبعد محمد استقر الإمام عبد الله الرضي بسلمية من أعمال حمص، ثم اضطر إلى الخروج منها إلى مازندران والأهواز مع ابنه أحمد ولي عهده في الإمامة، أثر تتبع العباسيين في عهد الخليفة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ)/ (٨١٣-٨٣٤م) له، ثم عاد بعد مدة إلى سلمية، بعد أن غدت دار هجرة للأئمة الإسماعيليين. بعد موته تولى ابنه أحمد الإمامة، فاتخذ عبد الله بن ميمون القداح داعية له، كما اتخذه أبوه من قبل، وغدت سلمية المركز الرئيسي للدعوة الإسماعيلية، وخرج منها الدعاة لنشر دعوتهم في البلاد الإسلامية، واستمر هذا الحال أيام الإمام الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل، واستقر هذا في سلمية آمناً مطمئناً لكرمه وجوده، وتفانيه في إظهار محبته للهاشميين، وتفاني أصحابه في خدمته، ونصرته، وذاعت دعوته في سلمية وغيرها وحققت الدعوة الإسماعيلية انتصاراً كبيراً في اليمن على يد كل من علي فضل الجيشاني، وأبي القاسم الحسن بن فرح بن حوشب بن زادان النجار الكوفي ، الذي عرف بمنصور اليمن، منذ أن وصلا إليها في سنة ٢٦٨هـ/

٨٨١م[٣٩]، وأرسل ابن حوشب من اليمن دعاة إلى اليمامة، وعمان، والبحرين، والسند، والهند، ومصر، والمغرب[٤٠]، وكان مبعوثاه إلى المغرب أبا سفيان والحلواني[٤١]، وطلب منهما نشر الدعوة الإسماعيلية، وأمرهما بالعمل، والتمهيد لظهور المهدي المنتظر وقيام دولته.

كان الإمام الحسين بن أحمد حريصاً على نشر دعوته في بلاد المغرب، لذلك أرسل أبا عبد الله الشيعي، وهو الحسين بن أحمد بن محمد زكريا "إلى اليمن سنة ٢٧٨هـ/ ٨٩٢م، وأمره أن يدخل في طاعة ابن حوشب، والتعلم منه والاقتداء به. ثم يرحل بعد ذلك إلى المغرب لنشر الدعوة الإسماعيلية، فقدم هذا إلى اليمن، ومكث فيها عاماً كاملاً، ثم انطلق بأمر من ابن حوشب إلى المغرب بعد أن قال له: "إن أرض كتامة من بلاد المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان وقد ماتا وليس لها غيرك، فبادِرْ فإنها موطأة، ممهدة ذلك"[٤٢]. واستمر أبو عبد الله موالياً للإمام بسلمية الحسين بن أحمد والمعروف باسم "محمد الحبيب" وتابع إرسال رسله وهداياه إلى سلمية، وقد كُتب لهذا الداعي الإسماعيلي أبو عبد الله الشيعي النشيط أن تقوم الدولة الفاطمية على يديه، وهو الذي استدعى الإمام من سلمية، للحضور إلى المغرب بعد أن تحققت له النجاحات الكبيرة هناك، لكي يستلم زمام الأمور، ولذلك فقد قال عنه المقريزي: "أحد رجالات العالم القائمين بنقض الدول وإقامة الممالك العظام من غير مال ولا رجال"[٤٣].

أما مصادر الشيعة الإمامية (الاثني عشرية)، أو الموسوية فيفهم منها أن ميموناً وابنه عبد الله كانا محدثين، شيعيين، موثوقين، ولم يكونا ديصانيين ثنويين كما تنسبهما إلى مكة[٤٤]، وهناك من يرى أن القداح الإسماعيلي شخصية خيالية اختلقها الإسماعيليون أنفسهم لرغبتهم في إسباغ الاحترام على حركهم وذلك باقترانها بشخص معروف من أصحاب الأئمة العلويين أمثال الصادق وغيره. وقد ورد في كتابه "تبصرة العوام"، لمؤلف شيعي مجهول أن عبد الله كان من أصحاب جعفر الصادق، وابنه إسماعيل، ولما مات جعفر أغرى حفيده محمد بن إسماعيل وذهب معه إلى مصر حيث مات

محمد، وخلّف جارية حبلى فقتلها عبد الله، وجعل بدلها جارية له، ولدت له طفلاً ادعى أنه من ولد محمد بن إسماعيل، ونال بذلك الإمامة(٤٥)، في حين يؤكد بعض الباحثين بأن ميمون القداح، وعبد الله بن ميمون القداح، هما ألقاب من الإمام محمد بن إسماعيل وابنه عبد الله بن محمد.

وهناك بعض المصادر الإسماعيلية توجد بها إشارات تجعل من ميمون القداح مستودعاً لمحمد بن إسماعيل، وعبد الله بن ميمون كان حجة في زمن الستر، وهذا ما يساعد على اختلاط الروايات، وعدم وضوح الرؤيا، وتشابك الروايات، كما ذكر في كتب الدروز، وهي إحدى فرق الإسماعيلية بأن عبد الله هو ابن ميمون وأن ميموناً هو جد سعيد أي المهدي(٤٦) عبيد الفاطمي.

وكيفما كان الأمر فقد تمكّن المهدي من الخروج من سلمية، وأسّس الدولة الفاطمية في المغرب. ولاشك بأن قيامها كان مسبوقاً بجهود تكفل بها الدعاة الإسماعيليون الذين كانوا يوجهون من سلمية(٤٧).

سيبقى موضوع الإسماعيلية، ولاسيّما مرحلة الستر منها، وانتسابهم إلى الفاطميين لغزاً لا يحلّ، نظراً لاختلاف الآراء، وتنوع الروايات، والصعوبة في علاج مثل هذه المواضيع الباطنية السرية، التي تمور بالرموز والإشارات والمصطلحات المعقدة والمستعصية، والواجب العلمي يفرض علينا أن نبحث فيها ونعالجها بتجرد ونزاهة للوصول إلى الحقائق الصافية من الدرن والشوائب، في ضوء ما نصل إليه من أدلة ونصوص مقنعة، ومهما كانت المحاولات جادة ونشيطة فلن تصل إلى الحجج المقنعة لإظهار الإسماعيلية على حقيقتها في المرحلة الأولى، لأن الغموض فيها واسع، كما أن مبدأ الستر والتقية التي تبناه الإسماعيليون، وما نتج عنهما من نظام سري صارم، لم يسمح بالكشف عن أقل الأمور أهمية حتى البديهيات منها. وأدّى ذلك كله إلى التكتّم على تحركات الأئمة، وعدم الكشف عن أشخاصهم، لكل ذلك صار من غير الممكن تتبع حركة الفرقة الإسماعيلية وتطور أحداثها في ذلك الدور، ومما ساعد على

استمرار الغموض مدة طويلة وزاده تعقيداً المعتقدات الراسخة والمؤمنة بأن التحدث عن هذه المرحلة التي رغب الأئمة بسترها أمر مخلّ بالعقيدة، لذلك فقد حرصوا على عدم البوح بها، والتكتّم التام عليها لأن إظهارها يعدّ خروجاً على العقيدة· كما كان لاحتراق مكتبات الإسماعيلية في كل من القاهرة والموت وغرهما أكبر الأثر في ستر هذه المرحلة وبقاء معظم أحداثها في طي الكتمان، إضافة إلى أن الروايات والأخبار الإسماعيلية التي تسربت من هنا وهناك عن قصد أو غير قصد، شابها الخلاف في الرؤيا والتصوّر، وكان لاختفاء الأئمة وراء[٤٨] حججهم ودعاتهم وتسميتهم بأسماء متعددة، مما زاد في تضارب الأخبار والروايات، وساعد أعداء الإسماعيلية السياسيين من عباسيين وغيرهم، ومخالفيهم في التوجه العقائدي على النيل منهم وكيل التهم إليهم بما يتفق ورغباتهم السياسية والمذهبية، ولهذا كثيراً ما لجأ الخلفاء العباسيون لعقد المجالس المتعددة والحصول على اعترافات منها، وشهادات تتضمن القدح بالإسماعيليين والتشكيك بانتسابهم إلى الفاطميين والعلويين، ولعل أهمها سجل القضاة والعلماء ببغداد سنة اثنتين وأربعمائة في أيام الخليفة القادر (٣٨١-٤٢٢هـ/ / ٩٩١-١٠٣١م)، التي شهد عليه أعلام الناس في بغداد وغالبيتهم من شيعة بني العباس[٤٩]، وتعتمد هذه الوثيقة على ما كتبه ابن زرام وأخو محسن، كما كرّر الخليفة العباسي القائم ذلك وطلب من مجموعة من علماء عصره إصدار وثيقة تنفي انتساب الخلفاء الفاطميين إلى آل البيت وكلا المحضرين تسيطر عليهما الرغبات العباسية السلطوية·

سلمية مركز إلهام وإبداع:

غير أن الأمر الذي لا لبس فيه، والذي تؤكده المصادر والأحداث التاريخية، بأن مدينة سلمية كانت محوراً لتحرك هؤلاء الأئمة والدعاة في الروايات كلّها، كما كانت مقصداً لجمع كبير من الإسماعيليين، وجلّهم جاءها متخفياً على هيئة تاجر أو سائح أو طالب

علم، وقلة من أتاها بشكل علني وكانت تستقطبهم جميعاً لاسيّما بعد أن غدت دار هجرة للإسماعيليين وأئمتهم.

وقد حافظت الحركة الإسماعيلية في سلمية على نشاطها واستمرارها وساعدها على ذلك ما أبدعته الدعوة من أساليب معقدة وسرية، ومراتب دعوية(٥٠)، يقوم الإمام في سلمية على رأسها، وإرساله الدعاة إلى جزر(٥١) العالم الإسلامي، بحسب تقسيمات ابتكروها، وكان الدعاة يتثقفون ثقافة دينية حسب الأصول الإسماعيلية، ويتدربوا على أساليب الدعوة وفق قواعد أساسية بحيث لا يسلك هؤلاء مع جميع الناس مسلكاً واحداً، بل كانوا يخاطبون على قدر(٥٢) مداركهم وعقولهم.

وإلى سلمية كانت توجه الأموال، وضرائب الخمس والهدايا من الأتباع والدعاة والمؤمنين بالإسماعيلية، وكانت هذه الأموال تستخدم لصالح الدعوة الإسماعيلية الكبرى، وتأمين ما يلزمها من وسائل الدعاية والنجاح، ولقد شغلت هذه الأموال دوراً في تخطي المهدي للصعوبات الكبيرة، التي اعترضته في رحلته المشهورة من سلمية إلى سجلماسة وما أغدقه من أموال لتخطي المحن التي كانت تعترضه، ولذلك فقد فشلت كلّ المحاولات العباسية الرامية إلى إلقاء القبض عليه(٥٣).

وقد أشار لكل ذلك الكتّاب والنقّاد والمؤرخون، واتضح لهم أن هذا النجاح الذي رافق هذه الدعوة الإسماعيلية جاء نتيجة لسرية الدعوة، وتماسكها، ودقة تنظيمها، وكثرة أعوانها وأنصارها في معظم المدن الإسلامية المهمة. وهذا التنظيم الدقيق احتذت به حركات كثيرة جاءت بعدهم، واعتبرته دليل عمل لها، كما استفاد الإسماعيليون من تجارب الحركات المعاصرة لهم التي سبقتهم وحالوا تجاوز ما وقعت به من أخطاء أدّت إلى فشلها، وكان من أهم هذه الثورات ثورتا الزط في الأهواز، ووسط العراق سنة ٣٠٥هـ/ ٨١٤م، ثم ثورة الزنج في البصرة في سنة ٢٥٥هـ/ ٨٦٤م(٥٤).

وقد أثمرت الدعوات الإسماعيلية المنظمة التي كانت تتلقى الإشراف والتوجيه من سلمية بأشكال مختلفة، وحققت مكاسب ونجاحات سياسية وعسكرية كبيرة، في كل من

اليمن والعراق والبحرين ومصر والشام والحجاز، وفي مرحلة لاحقة فرض الفاطميون وجودهم وأقاموا دولتهم على منطقة واسعة امتدت من المغرب الأقصى حتى بغداد بما في ذلك الحجاز واليمن والشام، وتمكنت من تحقيق حماية الأماكن المقدسة في كل من الشام والحجاز، وانتزعها من الخلافة العباسية ونالت دعواتها بالخطابة لها منابرها المقدسة، كما أظهر الأمير البساسيري الدعوة الإسماعيلية في بغداد وخطب لهم على منابرها حولاً كاملاً[٥٥].

لم يقتصر نشاط أبو عبد الله الشيعي في بلاد المغرب على العمل الدعوي، بل عمل عسكرياً على بسط نفوذ الفاطميين على المغرب[٥٦]، ثم أرسل إلى المهدي في سلمية رسلاً تطلب منه القدوم، ولما كان المهدي يعاني من ملاحقة السلطات العباسية له، وكذلك القرامطة أيضاً نتيجة للخلافات التي أدّت إلى انشقاق فرع من القرامطة عن أصل الدعوة في سلمية وقاد حركة عسكرية ضدهم[٥٧]، لهذا فقد فرَّ عبد الله من سلمية، وتوجّه إلى المغرب، وقبض عليه في سجلماسة[٥٨]، غير أن أبا عبد الله الشيعي جنّد الجيوش وتمكّن من إخراج المهدي من سجنه، ودعا به أميراً للمؤمنين، بعد أن استطاع إزالة ملك بني الأغلب من إفريقية، وملك بني مدرار من سجلماسة وملك بني رستم من تاهرت[٥٩]، وذهبت جميع جهود الدولة العباسية في القضاء على هذه الدعوة أدراج الرياح[٦٠].

وقد واجه الفاطميون متاعب جمة خلال إقامتهم في بلاد المغرب بسبب كثرة الخارجين عليهم[٦١]، فرنوا بأنظارهم نحو بلاد أكثر استقراراً فكانت مصر التي استطاعوا امتلاكها سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م، ونقلوا إليها حاضرة خلافتهم الفاطمية[٦٢]، ثم اقتضت الضرورات العسكرية الاستراتيجية العليا الفاطمية التوجه نحو الشام والعمل على ضمها وكان لهم ذلك وخطب لهم على منابرها قبل نهاية عام ٣٥٩هـ/ ٩٦٩م[٦٣]، ثم بسطوا سلطانهم على الأراضي المقدسة فدعي للخليفة المعز الفاطمي في المسجد الحرام والمدينة المنورة[٦٤]، لكن الانتصار السياسي الأكبر للفاطميين ربما تجسد

بنجاح القائد التركي أرسلان البساسيري بالاستيلاء على بغداد عاصمة الخلافة العباسية، وإقامته الخطبة للخليفة المستنصر بالله الفاطمي بسائر أنحاء العراق(٦٥).

ولم يقتصر نجاح الفاطميين على الجانب السياسي والدعوة، بل كانت لهم مآثر حضارية كبيرة خلفتها آثارهم التي لا تزال باقية في الأماكن التي بسطوا سلطانهم عليها وتؤكدها مظاهر حضارية مختلفة، فقد حرص الفاطميون على تشجيع العلم والأدب وأدركوا أن نجاح الدولة باعتمادها على العلماء، ولهذا فقد عملوا منذ إقامة خلافتهم في المغرب، وبعدها في مصر، على الاعتماد على العلم والعلماء، ونهضوا بالمغرب نهضة أدبية وشعرية فاستحقوا أن يقال عنهم إن في عهدهم تمّ استكمال تعريب المغرب الإسلامي(٦٦).

ولا بدّ أن نشير إلى أن هذه الانتصارات التي تحققت على أيدي الإسماعيليين وأتباعهم لا تعود لأسباب دينية ومذهبية فحسب، وإنما لأنها اشتملت على فكر اقتصادي واجتماعي واضح ومميز، وهذا ما يفسر الإقبال على الدعوة وتوجه كثير من الناس ولاسيّما الفقراء والعامة، والمضطهدين اقتصادياً، نحو التعلق بما منّتهم الأفكار الإسماعيلية ووعدتهم به، ودعت لحياة يسودها نظام اجتماعي واقتصادي يحقق العدالة، ويطرح فكرة التعاون والمساواة، موضع التنفيذ وهذه الدعوات تتفق مع ما طرحه الفكر الشيعي بشكل عام، ودعوته لتحقيق العدالة على يد المهدي المنتظر، والذي يعدّ الأساس الفكري الذي قام عليه (نظام الألفة)، وهو ما قامت عليه وتبنته الدعوة القرمطية(٦٧)، إحدى الدعوات الإسماعيلية، وهذا ما يوضح كثرة أتباع هذه الدعوة في جنوب العراق وبادية الشام، وفي هذه المنطقة بالذات "المنطقة الوسطى السورية"، وقد أشارت المصادر إلى ما يؤكد ذلك، وبينت اعتناق الكثرة من أهالي للأفكار الشيعية ومنها القرمطية، وزاد النشاط القرمطي في الشام قبل نهاية القرن الثالث الهجري وساهموا في إسقاط الحكم الطولوني ثم الإخشيدي(٦٨)، ولم يأتِ منتصف القرن الرابع الهجري حتى كان النفوذ القرمطي كبيراً في الشام ودفعت

أمهات مدنها الضرائب والإتاوة إلى القرامطة[٦٩]، وكان هذا النفوذ ولاسيّما المادي منه، وامتناع الفاطميين عن دفع هذه الإتاوات إلى القرامطة، وراء الصراع القرمطي الفاطمي وشكّل الأسباب الجوهرية في هذا الصراع الذي عمّق الخلاف الفاطمي القرمطي، وقطع معظم الروابط بينهم[٧٠].

كما يُظهر النشاط الفاطمي في الشام وغيرها من أقاليم الدولة الإسلامية أن النظام الاقتصادي الإسلامي الذي كان سائداً في تلك الفترة، لم يكن على ما يرام، وكان فيه ثغرات كبيرة استوجبت الإصلاح، وهذا ما يساعد على تقبّل هذه الدعوات القرمطية، التي دعت إلى التنازل عمّا يملكه الأعضاء المؤمنون والمنتسبون إليها، لكي يصبح ملكاً عاماً، ويعمل في هذا النظام كل فرد من جانبه على تنميته، ويأخذ منه فقط ما يحتاج إليه[٧١]، كما أدّى سوء الوضع السياسي والاقتصادي في العصر العباسي الثاني إلى تحول كبير في الوضع الاجتماعي، وساعد على اتساع المعارضة الفكرية الشيعية ونموها في بلاد الشام وغيرها.

وعلى هذا الأساس الاقتصادي والاجتماعي الذي يوفر الأمن الاجتماعي والاقتصادي شيّد الفاطميون أول حاضرة لهم في المغرب المهدية، وتم اختيارها بتأنٍ بعد عملية بحث هادفة استمرت فترة طويلة، وأُقيمت في أهم بقعة في المغرب العربي، وجعلت في مكان هيأها لتكون مركزاً مهماً وقاعدة عسكرية وبحرية متقدمة على المراكز الإسلامية الأخرى التي شيّدها المسلمون قبلهم كالقيروان وغيرها وقد ذكر البكري[٧٢]: أن البحر كان يحيط بهذه المدينة من جهاتها الثلاث، وأن المهدي اتخذ لهذه المدينة بابين فقط من الحديد زنة كل باب منها ألف قنطار وطوله ثلاثون شبراً، وأقيم بها صهاريج المياه، وأجرى إليها القنوات، وأشاد بها داراً للصناعة يتسع لأكثر من مئتي سفينة، ولما فرغ من إحكام حاضرته سنة ٣٠٥هـ، قال: "اليوم أمنت على الفاطميات"، وانتقل إليها سنة ٣٠٨هـ، ولم يكن يقصد حماية بناته فقط، وإنما كان يهدف بأنها ستحقق للفاطميين تطلعاتهم العسكرية والبحرية في المتوسط، وأمّن دولتهم

وهذا ما أكدته الأحداث اللاحقة فيما بعد فقد خاض الفاطميون معارك بحرية وفاق نشاطهم التجاري والعسكري جميع القوى الإسلامية البحرية كافة[٧٣]. وكان يهدف لهذه المدينة دوراً مهماً وفعالاً في هذه الأحداث السياسية والعسكرية، التي حمت الدولة في أحلك الظروف وفي أشد المحن.

ثم كانت النقلة النوعية المهمة للفاطميين إلى مصر، وإنشاء القاهرة المعزية، لتكون العاصمة السياسية والعسكرية والفكرية في مصر الإسلامية الفاطمية ولترفع من الشأن الإسماعيلي في مصر وغيرها، فاتسعت دعوتهم، وأنشأ الفاطميون مدينتهم القاهرة معتقدين أنها ستقهر جميع أعدائها وأقاموا فيها المعاهد والجامعات لتدريس العلوم والمذهب الإسماعيلي، ويعدّ الجامع الأزهر الذي تم افتتاحه في سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧١م[٧٤]، على رأس هذه المراكز الفكرية.

وقد أباح الفاطميون العلم بين العامة وكانوا يهدفون من وراء ذلك نشر المذهب الإسماعيلي، فقد أوردت المصادر اهتمام الفاطميين منذ لحظات استقرارهم في مصر. بالعمل على نشر الثقافة العلمية والأدبية، بما فيها المذهبية المتصلة بالدعوة، والتي كانت تشكّل محور جهودهم الثقافية[٧٥]، واعتمد هؤلاء أساليب عديدة ومتنوعة ومتطورة في سبيل تحقيق ذلك، وكان على رأسها اهتمام الخلفاء والقضاة والوزراء بالناحية الثقافية ، وقيادتهم العلمية وإدارتها، وحضورهم المجالس العلمية، وتشجيعهم المناظرات الأدبية والعلمية المختلفة والدينية كذلك[٧٦].

وقد كان اهتمام الفاطميين بالمكتبات واقتناء الكتب، والتشجيع على اقتنائها، والبحث عنها، والحصول عليها بمختلف السبل وإيداعها في مكتبات القصور الخلافية بشكل لافت للانتباه، ويؤكد كل ذلك مدى الاهتمام الفاطمي بالعلم وتشجيعه وبطرق البحث ، وبالتالي استقطاب العلماء بمختلف الطرق وهذا وذاك أدّى إلى تقدم العلوم بمختلف أنواعها[٧٧].

أفاد المقريزي أن الحاكم بأمر الله أنشأ داراً للحكمة، وحمل إليها الكتب من سائر العلوم، ووقف عليها الأوقاف، وسمح لجميع الناس بارتيادها، كما شيدّ داراً للعلم، أصبحت نادياً ومركزاً علمياً مهماً يؤمه العلماء بشتى تخصصاتهم، يمكن أن نقول عنها: أول جامعة أنشئت بالعالم[٧٨]، وكان الحاكم يحرص على الاجتماع بكل طائفة من العلماء على حدة ليتناظروا بين يديه.

ولا شك بأن هذه الأجواء ساعدت على ازدهار العلوم وتقدمها كما غدت مصر قبلة العلماء الذين توافدوا عليها من شتى أنحاء العالم الإسلامي، ولعل أبرزهم العالم الرياضي الشهير الحسن بن الهيثم[٧٩]، والعالم الجغرافي ناصر خسرو، ثم الحسن الصباح الداعية الإسماعيلي، ومؤسس الدعوة الإسماعيلية الجديدة في بلاد فارس وقلعة آلموت[٨٠].

كما شهدت هذه النهضة العلمية في مصر الفاطمية ظهور علماء كثر في مختلف التخصصات الأدبية، ومن أشهرهم: "أبو الحسن طاهر بن أحمد"، الذي اعتبر إماماً للنحويين في عصره، وكذلك أبو عبد الله القضاعي، الذي صنّف كتاباً في الخطط كان عوناً للمقريزي في خططه[٨١]، وكذلك علي بن منتجب الصيرفي، الذي اشتهر صيته وعلا شأنه في البلاغة والشعر.

أما في مجال الطب والفلسفة، فقد حظيت مصر الفاطمية بتقدّم هذه العلوم الفلسفية، وكثرت فيها المناظرات بين الأطباء، والمجادلات والمراسلات أيضاً، وأدّى ذلك إلى ازدهار هذا النوع من العلوم واتساع أفقه وكثرة التأليف حوله، وقرب الفاطميون الأطباء، وأغدقوا عليهم الأموال والأعطيات والرواتب الدائمة، وقد وفد إلى مصر في عهد الخليفة المعز والعزيز الطبيب محمد بن أحمد بن سعيد التميمي، وهو من بيت المقدس، واشتهر هذا بمعرفة العقاقير الطبية وترطيبها، والتقى الأطباء في مصر وناظرهم، وتعلم منهم، وأفادهم من علمه[٨٢]، غير أن أشهر أطباء هذا العصر هو أبو الحسن علي بن رضوان، الطبيب المصري المولد والنشأة، الذي جعله الحاكم رئيساً

على سائر الأطباء، وذاع صيته في البلاد الإسلامية، وناظر الأطباء، وراسلوه وطلبوا ما عنده من علوم، ودرس على يديه مجموعة كبيرة من الطلاب، وكان له أثر كبير على الحياة العقلية والفلسفية في مصر(٨٣).

وهكذا فقد ازدهرت العلوم الفلسفية في مصر الفاطمية ازدهاراً لم نجد له مثيلاً في الأقطار الإسلامية الأخرى، ففي الوقت الذي كان فيه المسلمون من غير الفاطميين يجنحون إلى اعتبار الدراسات الفلسفية وما يرافقها نوعاً من الإلحاد، معتبرين القائمين بها من العلماء زنادقة، كان الفاطميون أوسع أفقاً في تفكيرهم، وكان مذهبهم يعتمد على الفلسفة ولهذا جمعوا إليهم علماء وعقدوا مجالسهم ومناظراتهم تحت إشرافهم، بهدف الوصول إلى المعرفة الحقيقية، معتمدين بذلك على المنطق الإغريقي وفلسفة الأقدمين(٨٤)، وكان هذا التوجه حصيلة الفكر الإسماعيلي الذي بذر ونشأ وترعرع في بطاح سلمية ومن خلال مفكريها.

كما أن الكثرة من الفلاسفة الذي نبغوا في القرن الرابع الهجري وما بعده في العالم الإسلامي، كانوا على صلة قريبة أو بعيدة من الفاطميين وعقائدهم وما فاض من آراء مفكرين ودعاة وأئمة إسماعيليين مستورين وحجج تعمل لنشر تعاليمهم ، فابن حوقل الجغرافي المشهور كان متشيعاً حتى قيل إنه من دعاتهم، كما اعتبر الفارابي الفيلسوف المشهور عندما كان يتحدث عن فلسفته، كاد يكون أحد دعاة الفاطميين ويشاركهم في الحديث عن التوحيد(٨٥)، وابن سينا قيل إنه إسماعيلي المذهب، حيث ولد من أبوين إسماعيليين، ودرس على أبيه، الذي كان رئيس الدعوة الإسماعيلية في فارس وعلى الداعي عبد الله الناتلي وتعرف منهم على أصول علم التأويل الباطني والمنطق والفلسفة، ولم يكن الناتلي إلا من كبار علماء الإسماعيليين وفلاسفتها(٨٦)، وهذا يدل على مدى نفوذ الإسماعيلية في شرق العالم الإسماعيلي، وكان لذلك أكبر الأثر على استمرارية الدعوة هناك حتى بعد انهيار الدولة الفاطمية.

كما يمكننا أن نذكر كذلك علماء كثيرين ممن عرفتهم الدعوة الإسماعيلية الذين أسهموا إسهاماً مهماً في تطور الفكر الإسماعيلي، واحتلوا مكانة مرموقة في إثراء الفكر الإسلامي والعلمي، وعلى رأسهم أبو حاتم الرازي (ت ٣٢٢هـ / ٩٣٣م)، والقاضي النعمان (ت ٣٦٣هـ/ ٩٧٤م)، وأبو يعقوب السجستالي (ت ٣٣١هـ/ ٩٣٢م)، وحميد الدين الكرماني[٨٧] (ت ٤٤١هـ/ ١٠٢٠م)، والمؤيد في الدين هبة الله الشيرازي (٤٧٠هـ/ ١٠٧٨م)، وناصر خسرو (٤٨٠هـ/ ١٠٨٨م)، وأبو العلاء المعري (ت ٤٤٩هـ/ ١٠٥٨م)، وغيرهم كثر وهؤلاء شملت مؤلفاتهم جميع مناحي الثقافة في عصرهم، ويعتبرون أعلاماً في الفكر والعلوم وجيمع الأعمال التي تطرقوا لها، وكل منها يمكن أن يشكّل محور بحث مهم خاص به جدير بالدراسة.

ولعل أبرزهم جميعاً جماعة (إخوان الصفا)، وهؤلاء وضعوا المنهاج السياسي والفكري لعموم الحركة الإسماعيلية في رسائلهم الفلسفية، ووضعوها مجموعة من الدعاة الفلاسفة الذين أثروا بقاء أسمائهم طي الكتمان للمحافظة على الطابع السري. وإيماناً بمبدأ التقية الذي آمن به الإسماعيليون، وقد انتشرت رسائلهم في منتصف القرن الثالث الهجري في بغداد، ومنها إلى سائر الأمصار الإسلامية[٨٨]، وعلى رغم وجود من يشكك بصحة انتساب إخوان الصفا للإسماعيلية، إلا أنه من الملاحظ أن رسائلهم ضمت الآراء الإسماعيلية كلها[٨٩]، والإسماعيليون يؤكدون أنها جاءت على لسان أحد أئمتهم المستورين في المرحلة الإسماعيلية الأولى، وهو عبد الله بن محمد ابن إسماعيل، وهو الإمام الذي لوحق من العباسيين بعد أن علموا مكانه في سلمية، واضطر إلى الهرب وقصد مازندران والأهواز، وكان قد اتخذ من عبد الله بن ميمون القداح حجاباً عليه، ولهذا الرجل الفضل في وضع الترتيبات الحكيمة للدعوة الإسماعيلية وانتشارها ونجاحها، في حين ذكر أحدهم أن هذه الرسائل جاءت على لسان أحمد بن عبد الله. ومما لا شك فيه أن معظم أسماء من وصلتنا أخبارهم من علماء إخوان الصفا جاء معظمهم من الإسماعيليين، وممن عرفوا من علمائها[٩٠].

هذه الحضارة التي خلفها الفاطميون، والنفوذ الذي نعموا به لم يأتِ من فراغ، إنما جاء ثمرة لجهد دؤوب، وعمل مضنٍ بدأ في بلدة بدت كأنها مهملة لوقوعها على أطـراف البادية، غير أن الواقع أثبت أنها قادرة على أن تنشـئ دولاً، وتقـيم مـدناً وتنهـي حضارات، وكادت في مرحلة أن تظفر بعرش الخلافة العباسية في بغداد، وأكدت أنها من بقعة جغرافية تعدّ من أهم مناطق العالم، قدرة على النهوض الحضـاري وتحمّـل المسؤولية القيادية في جميع الأحـوال العامـة السياسـية العسـكرية القتاليـة منهـا والحضارية.

وهكذا اتضح أن سلمية شغلت دوراً مهماً في التاريخ الفاطمي/ والعباسـي، وعملـت على دفع الأحداث، وفق مخططات أئمتها، وعمل دعاتها، وهي وإن لم ينصفها التاريخ أو المؤرخون فإن الصحوة الفكرية، والتجرد العلمي البعيد عن التعصب، لهي كفيلـة لإظهار بعض الحقائق التي تنبئ بمستقبل جديد تضيء الطريـق للنهـوض بالحريـة الفكرية، ويزيل الغموض عن الأحداث المهمة في تاريخنا العربي والإسـلامي، والله أسأل أن يوفقنا إلى ما فيه خير الأمة والوطن والإسلام.

الهوامش

(١) دائرة المعارف الإسلامية، ج٢، ص ١١٣٠

(٢) أحمد وصفي زكريا، **جولة أثرية في بعض البلاد الإسلامية**، ص ٢٢٦، دمشق٠

(٣) عبد الله الحلو، **تحقيقات تاريخية لغوية**، ص ٣٢٢، بيروت٠

(٤) ياوقت الحموي، ص ٢٤٠، **معجم البلدان**، ج٣٠ ومحمود أمين، **سلمية في خمسين قرناً**، ص ٥٧٠

(٥) عبد الله الحلو، **المرجع السابق**، ص ٣٢٢٠

(٦) **المرجع السابق**، ص ٣٢٣٠ انظر عارف تامر، **القرامطة بين الالتزام والإنكار**، ص ٤٨-٤٩، دمشق ١٩٩٧م٠

(٧) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج٣، ص ٤٣٨٠ نبيه العاقل، وخماش، **تاريخ الدولة العربية الإسلامية الأولى**، ص ١٤١، منشورات جامعة دمشق ١٩٩٨٠

(٨) **دائرة المعارف الإسلامية**، ج٢، ص ١١٣٠

(٩) البكري، **معجم ما استعجم**، ج٣، ص ٧٥١٠

(١٠) ياقوت الحموي، **المصدر السابق**، ج٣، ص ٢٤٠

(١١) الإدريسي، **نزهة المشتاق**، ج٢، ص ٦٥٠

(١٢) أحمد وصفي زكريا، **المرجع السابق**، ص ٢٦٧٠

(١٣) خليفة، **تاريخه**، ص ٢٠٢٠

(١٤) وعن ثورة ابن الزبير، انظر: عبد الأمير عبد حسين دكسن، **الخلافة الأموية (٥٦-٨٦هـ)/ (٦٨٤-٧٠٥م)**، ص ٣١، ٣٧، ٢١٤، بغداد ١٩٧٣.

- محمد زيود/ **مجلة دراسات تاريخية**، العددان ٦١-٦٢، ص ١٣٥-١٣٨، سنة ١٩٩٧، نقلاً عن:
  - الطبري، **تاريخ الرسل**، ج٥، ص ٥٨٠-٥٨٣، وما بعدها.
  - البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج٤، ص ٢٠-٢٤ وما بعدها، وج١، ص ٣٤٥.
  - المسعودي، **مروج الذهب**، ج٣، ص ١٠٤-١٠٧، التنبيه والإشراف، ص ٢٦٦. ابن الأثير، **الكامل**، ج٤، ص ١٢٤-١٤٤.
  - ابن الأثير، **الكامل**، ج٤، ص ٢٣٥-٣٣٤.
  - ابن العديم، **زبدة الحلب**، ج١، ص ٥٤-٥٥.

(١٥) الطبري، **تاريخ**، ج٧، ص ٤٤٤.

(١٦) الطبري، **تاريخ**، ج٧، ص ٤٤٤. **الكامل**، ج٤، ص ٢٣٥. أحمد وصفي زكريا، **المرجع السابق**، ص ٢٦٨.

(١٧) ياقوت الحموي، **معجم**، ج٣، ص ٣٩٣. انظر: عارف تامر، **القرامطة بين الالتزام والإنكار**، ص ٤٩.

(١٨) أحمد وصفي زكريا، **المرجع السابق**، ص ٢٦٨.

(١٩) الطبري، **تاريخ**، ج٧، ص ٤٤٣. ابن العديم، **بغية**، ج٧، ص ٤٣، **وزبدة الحلب**، ج١، ص ٥٤-٥٥. **الكامل**، ج٤، ص ٣٣٤.

(٢٠) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١٠، ص ٥٤.

(٢١) اليعقوبي، **البلدان**، ص ٧٦.

(٢٢) أبو الفداء، **تقويم البلدان**، ص ٢٥٥.

(٢٣) أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، ج١٤، ص ٥٦. وانظر ص ٤٩٢٩، طبعة دار الكتب المصرية حيث يذكر أن سلمية كانت من أعمال حماة.

(٢٤) الطبري، **تاريخ**، ج٤، ص ٥٦٨.

(٢٥) الطبري، **تاريخ**، ج٤، ص ٥٦٨. دائرة المعارف الإسلامية، ج٢، ١١٣.

(٢٦) اليعقوبي، **البلدان**، ص ٨٦.

(٢٧) أبو الفداء، **تقويم البلدان**، ص ٨٦.

(٢٨) أبو الفداء، **المصدر السابق**، ص ٢٥٥.

(٢٩) **المصدر السابق**، ص ٢٥٥.

(٣٠) تعتقد الإسماعيلية بأن أدوار كل دور يشمل سبعة أئمة يتمتع الإمام السابع في كل دور بمكانة خاصة تؤهله إعادة النظر في تفسير الشريعة، وتأويلها ولذلك سميت الإسماعيلية بالسبعية أيضاً، واعتقدوا بأن محمد بن إسماعيل، هو الإمام السابع فهم لا يعترفون بإمامة الحسن بن علي (ت ٤١هـ/ ٦٦١م)، والإمام المستقر: هو الإمام الذي يتمتع بكل امتيازات الإمامة كلها وله الحق في أن يفوضها لأخلافه. أما المستودع: هو ابن الإمام وأكبر أبنائه، إن كان له غيره، والعارف بأسرار الإمامة كلها، وأعظم أهل زمانه ما دام قائماً بالأمر، إلا أنه لا حقّ له في تفويض الإمامة إلى ذريته الذين يكونون سادة ولا يكونون أئمة أبداً. والإمام المستودع هو الذي تكون الإمامة عنده وديعة، وهي عقيدة معروفة عند الفرق الغالية قبل الإسماعيلية، فالتنظيم الإسماعيلي للمستودع والمستقر ما هو إلى تنظيم لمبدأ كان مقراً ومعروفاً سابقاً. وما يتصل اتصالاً قريباً بعقيدة الإمام المستودع ما يصح أن نطلق عليه الإمام الحفيظ في أثناء الظروف الخطيرة "حيث أنه ينتحل بموجبها بعض الدعاة ألقاب الإمام ووظائفه أو يظل الإمام الحق

مستوراً ليديروا الحركات ويخبروا اتجاه الرأي العام دون أن يتعرض الإمام المستقر إلى الخطر·

وينطبق على هذا ما نجده في كتب الإسماعيلية (الحمداني، **الرسائل**، مجلة الإسلام ٢٠/٢٩٢-٣) بأن الإمام أحمد، الذي ينسب إليه تأليف رسائل إخوان الصفا، إذن للداعي الترمذي أن يظهر بين الناس إماماً، ويتحمل الموت بهذه الصفة، وليتأكد الإمام من أن أمر ظهوره ملائم·

ولقد مثل أبناء الأئمة الروحانيين لاسيما القداحين منهم، مثلوا دور الإمام المستودع أو الإمام الحفيظ، ولهذا يمكن أن يكون سعيد (عبيد الله) وهو آخر الأئمة القداحين المستودعين· وخلفه بعد وفاته (أبو القاسم) (محمد القائم) ولم يكن ولده، ولكنه كان الإمام المستقر الذي كان يعمل من أجله سعيد (عبيد الله)· انظر: برنارد لويس، أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرامطة، ص ٩٤/١٢٢/١٢٤·

(٣١) وميمون القداح، أظهر أتباع أبي الخطاب محمد بن ربيب الذي نسبت الخطابية إليه، وهي فرقة مغالية، ولم يختلف عبد الله بن ميمون القداح كثيراً عن والده فقد ادعى النبوة أول عهده ثم ترك موطنه وهو (قورج) بالقرب من مدينة الأهواز "ونزل عسكر مُكرم" (بلد من نواحي خوزستان)، وهناك هوجم وهدمت داره، فهرب إلى البصرة فنزل على قوم من أولاد عقيل بن أبي طالب، فكبس هناك فهرب إلى سلمية وفيها نظم دعوته، واشترى ضياعاً، وأخذ بث الدعاة إلى الكوفة وكان أحدهم حمدان بن الأشعث الملقب "بقرمط**"، إليه تنسب الحركة القرمطية"· "ولما مات عبد الله خلفه ابنه محمد، وعند مات قام سعيد بالدعوة كان القداحيون قد نجحوا في إقامة شبكة واسعة من الدعاة في كل من الري، وخراسان واليمن، والحسا، والقطيف، وفارس، وكانوا يدعون أنهم من ولد عقيل ابن أبي طالب ولما خرج سعيد إلى مصر ادعى أنه علي فاطمي وتسمى بعبيد الله"· انظر: النديم، **الفهرست**، ج٢، ص ٣٩-٣٩، والمقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص

٢٢-٢٣-٢٤-٢٥-٢٦، وهناك من يقول: إن الميمونية ينتسبون إلى ميمون القداح وقد اختلفت الآراء اختلافاً كبيراً عند بيان حقيقته. فكتاب السنة من مؤرخين وفقهاء يذكرون انتساب الدولة الفاطمية إلى علي وفاطمة، ويقولون بنسبتها إلى ميمون القداح، ويضيفون أنه كان فارسياً مجوسياً من الأهواز وتظاهر بالإسلام والتشيع والدعوة لآل البيت فقبض عليه وأودع السجن في الكوفة في أواخر عهد المنصور، وبعد خروجه من السجن ادعى أنه من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق إلى أن نجحت الدعوة في عهد أولاده الخلفاء الفاطميين، انظر مثلاً الحمادي اليماني، **كشف أسرار الباطنية**، ص ١٦-٢٠، عبد القادر البغدادي، **الفرق بين الفرق**، ص ٢٦٦-٢٧٨، وأما المصادر الإسماعيلية فترى أنه: لما آن لإسماعيل الأجل... أوصى والده الصادق الأمين أن يقيم لوده حجباً ومستودعاً، وكما أوصى هارون موسى أن يقيم لولده كفيلاً، فأقام له يوشع بن نون ستراً عليه وحجباً له، فسلمه الصادق أعنة مولانا محمد بن إسماعيل إلى ميمون القداح وهو ميمون بن غيلان بن بيدر بن مهران بن سلمان الفارسي -قدس الله روحه- فرباه وأخفى شخصيته وهو ابن ثلاث سنين مع ميمون القداح وهو كفيل له ومستودع أمره، وميمون من أولاد سلمان وسلمان من أولاد يعقوب أهل الاستيداع والقائمين بالبلاغ والإبلاغ. أي إن ميموناً وابنه عبد الله من بعده كانا حاجبين ومستودعين لأسرار أولاد إسماعيل بن جعفر الصادق. انظر: زهر المعاني، ص ٤٧-٤٩، الذي نشره المستشرق Ivanov في كتابه **Ismaili Tadition Concerning the Rise of the Fatimid** وقد ناقش Ivanov في كتابه هذه، ص ١٣٣، ١٥٣، ٢٣٣، ١٢٦، جميع الآراء والأقوال حول شخصية القداح هذا ودافع عنه ووجد خلاصة قصة انتساب الإسماعيلية إلى ميمون، خرافة ولا يؤيدها المنطق، أو المراجع الإسماعيلية، أو الأحداث التاريخية. انظر: المقريزي **اتعاظ**، ج٢، ص ٢٤، الهامش، ويفهم من

ذلك بأن الميمونية تنسب إلى ميمون القداح، غير أن الشهرستاني ذكر في **الملل والنحل**، ج١، ص ٧٣، هم أصحاب ميمون بن خالد كان من العجاردة إلا أنه تفرد عنهم بإثبات أن القدر خيره وشره من العبد والقول إن الله يريد الخير دون الشر وليس له مشيئة في معاصي العباد، انظر الرازي: **اعتقاد فرق المسلمين والمشركين**، ص ٤٨، وأصحاب الادعاء الميموني يقولون: إن عبيد الله الملقب بالمهدي: هو سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح بن ديصان الثنوي وأصلهم من المجوس" . المقريزي، **المصدر السابق**، ص ٢٨.

(٣٢) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص ٢٢، ٣٥. **والخطط**، ج٢، ص ٢٣-٢٤.

(٣٣) الثنوية: مذهب قديم كان أتباعه يعتقدون أن للعالم أصلين هما النور والظلمة، والثنوية أربع فرق:

١- المانوية: أتباع ماني، وكانوا يقولون إن النور والظلمة حيان.

٢- والديصانية: أتباع ديصان، ويقولون إن النور حي والظلمة ميتة.

٣- المرتونية: وهم يثبتون متوسطاً بين النور والظلمة ويسمونه المعدل.

٤- المذدكية: أتباع مذدك بن نامدان.

انظر تفاصيل الكلام عن هذه الفرق في الشهرستاني: **الممل والنحل**، ص ١٤٣، ١٤٧، ٢٦٨، ٢٧٨. والرازي، اعتقادات فرق المسلمين، ص ٨٨-٨٩.

(٣٤) انظر: المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص ٤١-٤٢. (نقل المقريزي عن الأمير عبد العزيز بن شداد صاحب **تاريخ إفريقية والمغرب** قوله: إن عبيد الله مفرق في اليهودية بجده ميمون بن يصان، كان يظهر التشيع ليخفي مذهبه الباطن الذي كان لا يحرم شيئاً، وكان أصحابه يظهرون الزهد ليستميلوا العامة، وأنجب ميموناً "أبا عبد الله القداح"، فأطلعه على أسرار هذه النحلة فحذق بها، واستعان برجل من نواحي أصبهان يعرف بمحمد بن الحسين ويلقب بدندان، وكان يبغض العرب

فاستحسن قوله ومده بالأموال التي مكنته من بث الدعاة، ولما توفي ادعى ولده أحمد أنه من ولد عقيل بن أبي طالب، ثم توفي، وخلفه الحسين الذي سار إلى سلمية وادعى أنه الوصي، وتزوج من أرملة حداد يهودي كان له ابن كفله الحسين وأدبه وعلماً ولما لم يكن له ولد فقد عهد بالدعوة إلى ابن هذا اليهودي وهو عبيد الله المهدي. انظر: المقريزي، ص ٣٧،٤١، ٤٢، ٤٣.

(٣٥) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص ٤٤، ٥٢.

(٣٦) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص ٥٠.

(٣٧) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص ١٦-١٧.

(٣٨) المباركية: سموا برئيس لهم يسمى المبارك مولى إسماعيل بن جعفر وهو كوفي. انظر: **فرق الشيعة**، ص ٦٩. **الملل والنحل** للشهرستاني، ص ١٧٠-١٧١.

(٣٩) القاضي النعمان، **افتتاح الدعوة**، ص ٣٢، ٦٣، ١٤٨، ١٥٠. عماد الدين إدريس: **تاريخ الخلفاء الفاطميين**، ص ٥٩، ٧٨. محمد جمال الدين سرور، **النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب**، ص ٦٢-٦٣. أيمن فؤاد سيد، **الدولة الفاطمية تفسير جديد**، ص ٤٣.

(٤٠) ابن خلدون، **العبر**، ج ٤، ص ٦٢. المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص ٥٠-٥١. جمال سرور، **المرجع السابق**، ص ٦٢. **وتاريخ الدولة الفاطمية**، ص ٢٢.

(٤١) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص ٣٩، ٤٠-٤١.

هناك روايات تقول: إن أبا الخطاب محمد بن زينب مولى بني أسيد (وردت عند ابن الأثير بني أسد (انظر: تفاصيل الحديث عن أبي الخطاب والخطابية الكشي، **معرفة الرجال**، ص ١٨٧،١٩٩. والرازي، **اعتقادات المسلمين**، ص ٥٨. والنوبختي، **فرق الشيعة**، ص ٤٢، ٩٦. والمقريزي، **الخطط**، ج٤، ص ١٧٤. وأبو شاكر ميمون بن

ديصان وغيرهما ألفوا **علم الباطن**، وأظهروا التشيع، ليستروا أمرهم لتدمير الإسلام، واستمالة العامة، وتفرقوا في البلدان، وكان منهم بنواحي أصبهان رجل يعرف بمحمد ابن الحسين، ويلقب بدندان، وكان فراسياً شعوبياً يكره العرب واجتمع وعبد الله بن ميمون القداح في سجن والي العراق، حيث أسسا مذهب الباطنية وتوفي القداح ودندان، فقام من بعد القداح ابنه أحمد، وتبعه ابن يقال به أبو القاسم رستم بن الحسين ابن فرح بن حوشب بن زادان النجار من أهل الكوفة، فلقنه مذهبه فقبله وسيره إلى اليمن، فدعا الناس إلى المهدي، وهؤلاء هم الذين أوفدوا إلى المغرب "الحلواني وأبا سفيان" في حين تذكر بعض الروايات أن الذي أرسل الحلواني وأبا سفيان إلى المغرب الإمام الصادق، في سنة ١٤٥هـ، انظر: المقريزي، ج٢، ص ٤١، **اتعاظ** الهامش.

(٤٢) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص ٥٥. عارف تامر، **المرجع السابق**، ص ٣٧.

(٤٣) **المصدر السابق**، ص ٥٥، ٥٧. أيمن فؤاد سيد: **الدولة الفاطمية تفسير جديد**، ص ٤٤، نقلاً عن القاضي النعمان، افتتاح **الدعوة**، ص ٤١. وعماد الدين إدريس، **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب**، ص ٧٢.

(٤٤) برنارد لويس، **أصول**، ص ١١٠-١١٣.

(٤٥) **المرجع السابق**، ص ١١٣-١١٤. انظر: عارف تامر، **القرامطة بين الالتزام والإنكار**، ص ٧٣-٧٤٧، حيث يقول: إنه من الجدير بالذكر أن أكثر المؤرخين والباحثين المعاصرين لم يتمكنوا من معرفة شخصيات أئمة دور الستر. وأساليبهم في التستر والإخفاء، لهذا جاءت أحاديثهم تدور حول شخصيات أسطورية خيالية، وأطلقوا عليها ميمون القداح، وقد نجد بعض الأعذار لهؤلاء المؤرخين فنقلوا الأسطورة دون تمحيص، كذلك ضاع بعض الباحثين والكتاب من الإسماعيليين الذين خفيت عنهم الحقيقة، وأوردوا الأحاديث الكثيرة عن ميمون القداح وأسرته، وعدوهم المؤسسين للدعوة القرامطة الإسماعيلية وخفي

عليهم أن ميمون القداح، وخفي عليهم أن ميمون القداح هو لقب الإمام محمد بن إسماعيل، وأنه هو الذي سمى نفسه بالقداح، أنه فارسي وأنه طبيب عيون وجاء بعده ابنه وولي عهده عبد الله إلى سلمية متخذاً اسم عبد الله بن ميمون القداح فاشتغل التجارة، وادعى أنه شيعي ومن دعاة لإمام مستور من ولد جعفر الصادق.

(٤٦) انظر: برنارد لويس، **المرجع السابق**، ص ١١٤-١١٥، وما سبق من هذا البحث.

(٤٧) انظر: **المراجع والمصادر السابقة**.

(٤٨) انظر: المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص ٢٢ وهامش رقم ٥٢. برنارد لويس، **أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية**، ص ٨٩، ٩٣.

(٤٩) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص ٣١، ٤٧-٤٨. انظر: أبو المحاسن، **النجوم الزاهرة**، ج٤، ص ٧٥،٧٧، ١٦٦، ٢٢٩.

(٥٠) تتكون هذه المراتب من اثني عشر مرتبة على النحو التالي (الإمام، الحجة، داعي الدعاة (الباب)، داعي البلاغ، الداعي المطلق أو النقيب، الداعي المأذون، الداعي المحصور، النجاح الأيمن، الجناح الأيسر، المكاسر، المغالب، المستجيب. انظر: مصطفى غالب: **أعلام الإسماعيلية**، ص ٢٤-٢٥. وقد قسم الإسماعيليون العالم الإسلامي إلى اثنتي عشرة جزيرة وأرسلوا لكل جزيرة مجموعة من الدعاة.

(٥١) انظر: الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، (ت ٥٠٥هـ/١١١٣م)، **فضائح الباطنية**، ص ٣٣. تحقيق عبد الرحمن بدوي، القاهرة، ١٩٦٤م. انظر: أيمن فؤاد السيد، **الدولة الفاطمية تفسير جديد**، ص ٤٢، الدار المصرية اللبنانية، سنة ١٩٩٢م.

(٥٢) الغزالي، **فضائح الباطنية**، ص ٣٣.

(٥٣) انظر: تفاصيل رحلته (**رحلة المهدي عبيد الله**)، من سلمية إلى المغرب في المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص ٦٠-٦١-٦٢. محمد جمال سرور، **تاريخ الدولة الفاطمية**، ص ٢٥-٢٦.

(٥٤) وعن ثورتي الزط ولزنج:

انظر:

(٥٥) البساسيري: هو أبو الحارث أرسلان، الملقب بالمظفر، وهذا الاسم نسبة شاذة إلى المدينة الفارسية "نبسا" أو "رفسا". انظر ياقوت (**معجم البلدان**) وهو أحد القادة الأتراك العباسيين آخر أيام بني بوية وحدث خلاف بينه وبين ابن مسلمة وزير الخليفة العباسي القائم بأمر الله لأنه طلب مساعدة السلاجقة للتخلص من بني بوية، فلما دخل طغرل بك بغداد سنة ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م، اضطر البساسيري إلى الفرار، ثم كاتب الخليفة الفاطمي المستنصر، فأمده بالمال والسلاح، وأرسله مع أحد الدعاة المشهورين وهو وهبة هبة الله الشيرازي، وفي سنة ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م، دخل بغداد ظافراً، وأقام الخطبة للخليفة الفاطمي، وبعث له البشائر إلى مصر وفي سنة ٤٥١هـ تغلب عليه ثانية طغرل بك وقتله وأعاد الخليفة العباسي إلى كرسي الحكم كما أعاد الخطبة له.

انظر: تفاصيل هذه الثورة في: **النجوم الزاهرة**، ج٥، ص ٥-١٢. وابن خلكان، **الوفيات**، ج١، ص ١٠٧، دائرة المعارف الإسلامية.

(٥٦) جمال سرور، **تاريخ الدولة الفاطمية**، ص ١-٤.

(٥٧) تشير الأخبار الحديثة إلى تفسير ما قام به بن زكرويه وخروجه على الإمام في سلمية" حيث تقول: إن الإسماعيلية الأولى، ومنهما الفرع القرمطي، كانوا يعتقدون أن محمد بن إسماعيل هو الإمام السابع وصاحب الدور، وسوف يعود

مهدياً، والذين تولوا من بعده وأقاموا على أمور الدعوة كانوا حجة وممثلين لــه، وأن رفع مقامهم إلى أئمة حصل التعديلات التي قام بها عبد الله المهدي، وادعى بموجبها الإمامة لنفسه ولأسلافه، هذا هو سبب الخلاف الذي حدث بــين مركــز الدعوة في سلمية والقرامطة وجعل ذلك الحسين بن زكروية يدعي الإمامة لنفسه ويهاجم سلمية، مقر الإمام عبيد الله الذي تولى الإمامة عــام ٢٨٩هـــ/ ٩٠١م، وأقدم على تخريبها.

انظر: ميكال يان دي خويه: **القرامطة**، ص ٥١-٥١-٥٢. نقلاً عــن الطبــري، **تاريخ**، ج٣، ص ٢٢٢٣-٢٢٣٢. سلمان البدور، **الإسماعيلية في بلاد الشام في العصر العباســي**، ص ٦ (بحث قدم لمؤتمر بلاد الشــام)، الجامعــة الأردنيــة، ١٩٩٠م. والداعي إدريس عماد الدين، **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب**، القسم الخاص من **كتاب عيون الأخبار**، تحقيق محمد الــيعلاوي، ص ١٤٥، بيــروت، ١٩٨٥.

(٥٨) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص ٦٢.

(٥٩) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص ٦٠-٦١-٦٢-٦٣-٦٤-٦٥-٦٦.

(٦٠) جمال سرور، **تاريخ الدولة الفاطمية**، ص ٢٥.

(٦١) المقريزي، **اتعاظ**، ج٢، ص ٦٨. جمال سرور، ص ٣١.

(٦٢) ابن الأثير، **الكامل**، ج٧، ص ٣٠٩.

(٦٣) **المصدر السابق**، ج٧، ص ٣١٠.

(٦٤) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١١، ص ٢٩٥.

(٦٥) **المصدر السابق**، ج١٢، ص ٨٣-٨٤.

(٦٦) محمد اليعلاوي، **الأدب بإفريقية في العهد الفاطمي**، بيروت، ١٩٨٦، ص ٦-٧ وما بعدها.

- وانظر: **حوليات الجامعة التونسية**، المؤلف السابق، العددان ١٠، ١٧ للأعوام، ١٩٧٣، ١٩٧٩.
- وانظر: إبراهيم الدسوقي جاد الرب، في كتابه **شعر المغرب خلافة المعز الفاطمي**، القاهرة، ١٩٧٣.

(٦٧) انظر: محمد عبد الفتاح عليان، **قرامطة العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين**، ص ٢٠٣، القاهرة. عارف تامر، **المرجع السابق**، ص ٥٦، ٦٢.

- سليمان البدور: **الإسماعيلية في بلاد الشام في العصر العباسي**، ص١٤.
- محمد زيود، **العلاقات بين مصر والشام في العهدين الطولوني والأخشيدي**، دمشق ١٩٨٩، ص ١٥٤. عارف تامر، **القرامطة، أصلهم نشأتهم ، تاريخهم، حروبهم**، ص ٦٢. حسن أحمد محمود: **حضارة مصر في العصر الطولوني**، ص ١٧٢.

(٦٨) انظر المقديسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ص

- محمد زيود ، **المرجع السابق**، ص ١٥٢.
- حسن أحمد محمود، **مصر في العصر الطولوني**، ص ١٧١.

(٦٩) ابن القلانسي، **تاريخ دمشق**، ص ١، دمشق ١٩٨٣.

- خاشع المعاضيدي، **الحياة السياسية في بلاد الشام خلال العصر الفاطمي**، ص ٣٣، بغداد، ١٩٧٦. ابن خلدون، **العبر**، ج٤، ص ٨٨، ٩٠.
- محمد عبد الفتاح عليان، **المرجع السابق**، ص ٢٠٣.

(٧٠) سلمان البدور، **المرجع السابق**، ص ١٤.

(٧١) انظر: محمد عبد الفتاح عليان، **المرجع السابق**، ص ٢٠٣· محسن الأمين، **خطط جبل عامل**، ص ٨٥ وما بعدها، ط١، بيروت، ١٩٨٣·

(٧٢) البكري، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، ص ٢٩، ٣١·

- جمال سرور، **تاريخ الدولة الفاطمية**، ص ٢٨-٢٩·
- السيد عبد العزيز سالم، والعبادي، **تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط** (البحرية الإسلامية في المغرب الإسلامي)، الاسكندرية، ١٩٩٣، ص ١٣٦-١٣٧ وما بعدها·

(٧٣) **المصادر والمراجع السابقة**·

(٧٤) جمال سرور، **تاريخ الدولة الفاطمية**، ص ١٥٤، ١٥٩ نقلاً عن:

- المقريزي، **اتعاظ**، ج١، ص ١٣٧· ج٢، ص ٦٧، ١٥٩· و**الخطط**، ج٢، ص ٢٧٣· انظر: محمد عبد الله عنان، **تاريخ الجامع الأزهر**، ص ١٨-١٩·

(٧٥) انظر: جمال سرور، **تاريخ الدولة الفاطمية**، ص ١٥٤، ١٥٥ نقلاً عن:

- المقريزي، **المصدر السابق**، ج٢، ص ٣٤١· **اتعاظ**، ج١، ص ٢٢٧·
- حسن خضيري أحمد، **علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب**، ص ١٦٠-١٦١، القاهرة، مكتبة مدبولي·

(٧٦) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٣٤١· انظر: محمد كامل حسين، **الأدب في العصر الفاطمي**، ص ٨٩-٩٠-٩١ وما بعدها· جمال سرور: **المرجع السابق**، ص ١٥٤، ١٦٠· حسن ابراهيم حسن، **تاريخ الدولة الفاطمية**، ص ١٣٧·

- حسن خضيري، **المرجع السابق**، ص ١٦١-١٦٢-١٦٣·

(٧٧) جمال سرور، **المرجع السابق**، ص ١٥٤، ١٥٨، ١٥ـ، ١٦٠. محمد كامل حسين، **في أدب مصر الفاطمية**، ص ٨٩-٩٠-٩٢-٩٣-٩٤.

(٧٨) المقريزي، **المواعظ**، ج١، ص ٤٥٨-٤٥٩. **اتعاظ**، ج٢، ص ٥٦. محمد عبد الله عنان، **تاريخ الجامع الأزهر**، ص ٥٣،٥١.

- انظر عارف تامر، **أربع رسائل إسماعيلية**، ص ٣٩، ط٢، بيروت، ١٩٧٨.

(٧٩) محمد كامل حسين، **في أدب مصر الفاطمية**، ص ١٠٢-١٠٣. حسن خضير أحمد، **علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب**، ص ١٦٩ وما بعدها، نقلاً عن القفطي، **تاريخ حكماء الإسلام**، ص ٥١، ١١٤-١١٥. وابن أبي أصيبعة، ج٢، ص ٩، ٩٠، ١٠٦.

(٨٠) خير الله سعيد، **عمل الدعاة الإسلاميين في العصر العباسي**، ص ٢٥١ وما بعدها، دمشق، ١٩٩٣.

(٨١) محمد جمال الدين سرور، **تاريخ الدولة الفاطمية**، ص ١٥٨-١٥٩.

(٨٢) محمد كامل حسين، **المرجع السابق**، ص ١٠٩.

(٨٣) محمد كامل حسين، **في أدب مصر الفاطمية**، ص ١١٢-١١٣.

- جمال الدين سرور، **تاريخ الدولة الفاطمية**، ص ١٥٥-١٥٩.

(٨٤) محمد كامل حسين، **المرجع السابق**، ص ١١٣-١١٤.

(٨٥) محمد كامل حسين، **المرجع السابق**، ص ٩١-٩٢-٩٣.

(٨٦) مصطفى غالب، **ابن سينا**، ص ١٣، ١٧، ١٨، مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩١م.

- وانظر: اقتباسات تيسير شيخ الأرض، **المدخل إلى فلسفة ابن سينا**، ص ٧٤-٧٥، بيروت، ١٩٦٧م.

(٨٧) المقريزي، **المواعظ**، ج١، ص ٤٥٨-٤٥٩. عارف تامر، **أربع رسائل**، ص ٣٩ وما بعدها.

- محمد كامل حسين، **في أدب مصر الفاطمية**، ص ١٠٢-١١٣ وما بعدها.
- محمد جمال الدين سرور، **تاريخ الدولة الفاطمية**، ص ١٥٨-١٥٩ وما بعدها.
- خير الله سعيد، **المرجع السابق**، ص ١٨٨-١٨٩-١٩٠-١٩١-١٩٢.

(٨٨) خير الله سعيد، **المرجع السابق**، ص ١٨٢-١٨٣.

- انظر: مصطفى غالب، **إخوان الصفا**، ص ٢٠ وما بعدها.

(٨٩) انظر: مصطفى غالب، **إخوان الصفا**، ص ٢٠، ٢٨. في سبيل موسوعة فلسفية، دار الهلال، ١٩٧٩، حيث يورد أن المصادر الفاطمية تذكر أن الإمام عبد الله بن محمد بن إسماعيل عندما جعل عدد رسائل إخوان الصفا اثنتين خمسين رسالة وضعها لحكمه وطبقها على عدد حروف اسمه بحساب الجمل، وهذا النوع من الحساب أول من استعمله في العهود الماضية الإسماعيليون وإليك المثال:

عبد الله بن محمد

ع ب د ا ل ا هـ ب ن م ح م د

- وجمعية إخوان الصفا فرقة سرية تأسست في البصرة، استقت آراءها من تعاليم أرسطو والأفلاطونية الحديثة والغنوصية المتأثرة

بتعاليم المسيحية فضلاً عن آراء المعتزلة والإسماعيلية وغيرهم، وكانوا يعتقدون أن الروح لها أصل سماوي مستمد من الله عز وجل، وبنوا آرائهم على أسس علمية وألّفوا ٥٢ رسالة منها ١٤ تبحث في الرياضيات والمنطق و١٧ في العلوم الطبيعية وعلم النفس، و١٠ في الميتافيزيقيا، والبقية وهي ١١ رسالة في موضوعات متفرقة مثل التصوف والسحر والتنجيم وغيرها، وهذه الرسائل المحولة الأولى لتصنيف العلوم عند المسلمين، ومعظم العلماء المعروفين وممن دونوا هذه الموسوعة هم من الإسماعيليين.

- انظر: سعيد عاشور وزملاؤه، **تاريخ الحضارة الإسلامية العربية**، ص ٩٥-٩٦، الكويت، ط٢، ١٩٨٦.
- في حين يذكر عارف تامر: أن الإمام أحمد بن عبد الله، وليس عبد الله المولود في سلمية، سنة ١٩٨هـ، كان على جانب كبير من العلم وإليه ينسب موسوعة رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء.
- انظر: عارف تامر، **المرجع السابق**، ص ٣٦.

(٩٠) سعيد عاشور وزملاؤه، **المرجع السابق**، ص ٩٦.

قائمة المصادر والمراجع

١- إحسان إلهي ظهير: **الإسماعيلية تاريخ وعقائد**، لاهور باكستان، ١٩٨٦.

٢- إسماعيل المير علي: **القرامطة**، بيروت، ١٩٨٣.

٣- إدريس، عماد الدين: **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب**، تحقيق محمد اليعلاوي، بيروت، ١٩٨٥.

٤- أمينة بيطار: **تاريخ العصر العباسي**، ط٤، منشورات جامعة دمشق، ١٩٩٧.

٥- أيمن فؤاد سيد: **الدولة الفاطمية تفسير جديد**، ط١، القاهرة، ١٩٩٢.

- أبو الفداء (ت ٧٣٢): **تقويم البلدان**، طبع في مدينة باريس، سنة ١٨٥٠م.

٦- برنارد لويس: **أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرامطة**، مراجعة خليل أحمد خليل، ط٣، بيروت ١٩٩٣.

٧- حسن إبراهيم حسن: تاريخ **الدولة الفاطمية في المغرب ومصر والشام وبلاد العرب**، القاهرة، ١٩٥٨.

٨- حسن زنون: **القرامطة بين الدين والثورة**، بيروت، ١٩٨٨.

٩- خاشع المعضيدي: **الحياة السياسية في بلاد الشام خلال العصر الفاطمي**، ٣٥٩-٥٦٧هـ/ ٩٦٩-١١٧١م، بغداد، ط١، ١٩٧٦.

١٠- خضر أحمد عطا الله: **علاقات الدولة الفاطمية بالدول الإسلامية والأجنبية**، بيروت، دار بن زيدون.

١١- خير الله سعيد: **عمل الدعاة الإسماعيليين في العصر العباسي**، دمشق، ط، ١٩٩٣.

١٢- ابن خلدون: **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر**، ج١، بولاق، ١٢٨٤هـ.

١٣- سعد زغلول عبد الحميد: **تاريخ المغرب العربي**، ج١، إلى ج٣، الاسكندرية، ١٩٩٠.

١٤- الشهرستاني: **الملل والنحل**، ج١- ج٣، تحقيق أحمد حمد فهمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٥- عارف تامر: **معجم الفرق الإسلامية**، بيروت، ١٩٩٠.

- **أربع رسائل إسماعيلية**، تحقيق عارف تامر، بيروت، ١٩٧٨.
- **القرامطة بين الالتزام والإنكار**، دمشق.
- **تاريخ الإسماعيلية**، ج١ الدعوة والعقيدة"، لندن وقبرص، ١٩٩١.

١٦- عبد الفتاح مقلد الغنيمي: **موسوعة المغرب العربي**، القاهرة، ١٩٩٤.

١٧- عبد المنعم ماجد: **ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها**، دار الفكر العربي، القاهرة.

- **نظم الفاطميين ورسومهم**، القاهرة، ١٩٧٣.

١٨- علي نوح: **الخطاب الإسماعيلي**، دمشق، ١٩٩٤.

١٩- عادل العبد الجادر: **الإسماعيليون (كشف الأسرار ونقد الأفكار)**، الكويت، ٢٠٠٢.

٢٠- القاضي النعمان: **المجالس والمسايرات**، تحقيق الحبيب الفقهي وزملائه، تونس، ١٩٧٨.

٢١- أبو المحاسن: **النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة**، ج١، ١٦، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٩-١٩٧٢.

٢٢- محسن الأمين: **خطط جبل عامل**، ط١، بيروت، ١٩٨٣.

٢٣- محمد أحمد زيود: **العلاقات بين مصر والشام في العصرين الطولوني والأخشيدي**، دمشق ١٩٨٩.

٢٤- محمد جمال الدين سرور: **تاريخ الدولة الفاطمية**، القاهرة، ١٩٩٥.

- النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة، دار الفكر، مصر، ١٩٥٧.

٢٥- محمد عبد الله عنان: **الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة**، القاهرة، ١٩٨٣.

٢٦- محمد كامل حسين: **في أدب مصر الفاطمية**، دار الفكر العربي.

٢٧- محمد اليعلاوي: **الأدب بإفريقية في العصر الفاطمي**، بيروت، ١٩٨٦.

٢٨- مصطفى غالب: **في رحاب إخوان الصفا وخلان الوفاء**، بيروت، ١٩٦٩.

- **ابن سينا**، مكتبة الهلال، ١٩٩١.

٢٩- المقريزي: **اتعاظ الخلفاء**، ج٢، تحقيق الشيال، القاهرة، ١٩٦٧.

- **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار** (بولاق ١٢٧٠هـ).

٣٠- ميكال يان دي خويه: **القرامطة نشأتهم ودولتهم وعلاقتهم مع الفاطميين**، ترجمة وتحقيق حسين زينة، بيروت، ١٩٨٦.